﴿ عصامي جديد ﴾

يكاد هذا العصر يمتاز عن سائر العصور بكونه عصر العصاميين الذين يسودون بلا آباء ولا اجداد مسودين وذلك لان العزة النسبية قد ضعفت جداً وصار الانسان ولاسيما في بلاد الحرية التامة وهو ابن اجتهاده وسعيه بحيث انه اذا رزق اصالة الرأي ووفقه المقدور الى الحكم فلا يبعد عليه ان يصير اعظم وزير وحاكم كما هو شأن دي ويت في روسيا حيث للنسب قوة كبيرة وكما هو شأن اكثر رؤساء الجمهوريات في فرنسا واميركا او كما هو شأن المسيو دلكاسه وزير فرنسا المشهور الذي نعينيه الان من دونهم بالخصوص لفرط ما بدا من اهميته مدة حكمه في احوال فرنسا الخارجية ولكونه قد استقال الان من ذاك الحكم دون ان تذكر جرائدنا الاخبارية شيئاً عن اصله وكيفية ارتقائه ولذلك لا بأس من ايراد شيء عنه زيادة في الدلالة عليه وعلى فضل البلاد التي لا يهمها الا الفضل الحقيقي مهما كان مصدره

فلقد ذكروا عن هذا الرجل وهو تيوفيل دلكاسه انه ابن فلاح حقير فقير وانه متسلسل من اباء كلهم فلاحون حتى لا يعرفوا شيئاً غير الميكعة والمعول ولكن ذلك لم يكن مانعاً في العصر الاخير من تعليم اولاد الفلاحين الذين كان دلكاسه من جملتهم ولذلك ارسله اهله الى المدرسة وهم لا يدرون انهم يؤهلون منه بسببها اعظم رجل لفرنسا . ولقد تعلم هذا الغلام ما استطاع حتى بدا له ان يدخل في غمار الصحافة فاخذ يشتغل في

تحرير جريدة قروية تصدر في مقاطعته وكان ذلك ايام حرب فرنسا والمانيا ولكن مواطنيه حيث كان لم يكونوا يحتفلون به ولا يرتضون له هذه الصناعة او يرون له فيها خيراً حتى قدر له ان يذهب الى باريز نقطة الدائرة ومبعث الاشعة فذهب وكان فيها كانه نور على نور

ولقد كانت جرائد فرنسا في ذاك الحين منصرفة بالاكثر الى هزل القول عن جده والى القصص والروايات اكثر من السياسات اما هو فجعل يكتب لهم عن المستعمرات اشياء جديدة لم يكونوا يعلمونها ولا لهم فيها بحث ويذكر لهم من علائق فرنسا مع الدول وما يجب لها من السياسة معهن شيئاً كثيراً مدَّ في صيته حتى صارت وزارة المستعمرات تستخدمه وتعول على ارائه ثم لم تكد تأتي سنة ١٨٩٣ حتى استدعاه اليه المسيو ريبو رئيس الوزارة في ذاك الحين وجعله وكيلاً لوزارة المستعمرات ولكنه لم يكد يمر عليه الحول حتى صار هو الوزير نفسه وكان قد اتفق في ذاك الحين ان نشأت حادثة فشوده المشهورة مع المسيو مرشان واللورد كتشنر وبالتالي بين فرنسا وانكلترا فقامت لها فرنسا وقعدت واخذت انكلترا تهم بمحاربتها حتى استطاع هذا الرجل بحكمته ان يرد كل سيف الى غمده لانه كان ابعد نظراً من الجميع واخبر اهل بلاده بقوة اساطيلها وجيوشها وبذلك نفى عن العالم اعظم خطر اذ اي خطر اعظم من ان تحترب فرنسا وانكلترا وهما ركنا المدنية ودعامة الارزاق بين الناس . الا ان عمله هذا قد اسخط عليه العامة فقاموا يلعنونه في كل ناحية ويطلبون شنقه حتى في الشوارع الا انه لم يمض قليل حتى عرف صوابه فهدأت الخواطر وكان جزاؤه على هذه المصالحة انهم عدوه بين اعاظم الرجال واكثرهم حكمة وتانيا كما انه صار بها صديقاً حميماً

لاكثر ملوك الارض لانه ما وجد وزير زار الملوك وزارته مثل دلكاسه فانه قد صادق ملك انكلترا وقيصر روسيا وملوك ايطاليا واسبانيا وسواهما حتى ان سمو خديوينا العباس معدود من جملة اصدقائه

اما منظر دلكاسه فلا يملأ العين بشيء ولكنه يمتاز بالوقار وقلة الكلام وعدم القاء الخطب الا حين الضرورة القصوى كما انه ينقض الامور ويبرمها بسرعة وبساطة ويقال ان اكثر الذي اهله لهذا المنصب الخطير من جهة اخلاقه هو كونه فلاحا ابن فلاح يخط ما تمليه عليه البساطة بعد ان يتلقاه بالتمييز والنقد . ولعله لا يمر على اوربا مئة سنة حتى يصير كل ملوكها واكابر حكامها من رجال القرى واهل الحرف لان فرط اليسار وعظم المجد قد اضعفا عقول الاكابر المتسلسلين وصار العقل كل العقل عند الفلاحين الذين احتفظوا بصحتهم فاحتفظت بمداركهم وصاروا من العصاميين

﴿ رسم الارضين والمدن ﴾

توشك الدولة الانكليزية ان تكون ممتازة عن سائر الدول بكثر اهتمامها وبذلها في سبيل تخطيط الارضين والمدن والجزر والبحار وما لها من شواطئ وما فيها من صخور وذلك لكثرة ما تحدث في بلادها ومستعمراتها الواسعة من التغيرات الارضية والبحرية وكثرة ما لا يزال مجهولا في الارض فهي بذلك تخدم نفسها وسائر العالم خدمة جلى كما ان هذا لا يعد